مراتب الأخلاق في الإسلام

المدرس المساعد: أحمد عبد الكاظم عبد طلاب
المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف
ahmedabdulkazimabdul@gmail.com

الأستاذ الدكتور محمد كاظم الفتلاوي
جامعة الكوفة ـ التربية المختلطة
mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq

Morals in Islam

Ahmed Abdul-Kadhim Abed Tellab
The General Directorate of Education in Najaf Governorate

Prof. Dr. Mohammad Kadhim Al-Fatlawi
University of Kufa / Mixed Education

ألملخّص:

محتوى البحث في هذه الدراســـة هو مراتب الأخلاق في الشـريعة الاسـلامية الحقة, حيث يتم ذلك من خلال تتبع الآيات القرآنية الكريمة التي تدل على المراتب الأخلاقية, وكذا الحال بالنسبة لما ذُكر منها في السنة المباركة, حيثُ تحليل كل موضـــوع. ومراعاة كلام المعصـوم(عليه السـلام) وتزويد الباحثين بكافة الآراء ذات الصلة.

فقد اشتملَ البحث على عدد من المطالب متعلقة بالمراتب الأخلاقية ولا سيما في التقوى والصبر والصــدق والوفاء والعفو, يسـبق ذلك مقدمةٌ , وكـان من أهمِ نتـائج البحـث مـا يـأتي: فـأظهر البحث أهمية الأخلاق ومن ثم إعادة تحديد مدى اهتمام المســلمين بها والتركيز على مراتبها. و هذا يعود بســبب الاهتمام الكبير بها من قبل كتاب الله عز وجل وأحاديث نبيه وأولياءه.

كما نجد بـالإضـــافة إلى حقيقة أن العلمـاء اسـتثمروا الآيات والنصـوص القرآنية المتعلقة بذلك ، فإذنا نراهم يســتنتجون أقوال الســنة المباركة ، وأيضًـــا أقوال الصـــحابة ، وبقية العلمـاء ليكون ذلـك دليلًا على مـا يـذكرونـه ويُعضد به حجتهم.

الكلمات المفتاحية:مراتب, أخلاق, تقوى, صدق, صبر, وفاء, عفو.

Abstract:

The content of the research in this study is the levels of morality in the true Islamic Sharia, as this is done by following the noble Qur'anic verses that indicate moral levels, as well as the case with those mentioned in the blessed Sunnah, where each topic is analyzed. considering the words of the infallible (peace be upon him) and providing researchers with all relevant opinions.

The research included a number of demands related to moral levels, especially in piety, patience, honesty, loyalty and forgiveness, preceded by an introduction, and the most important results of the research were the following: This is due to the great interest in it on the part of the Book of God Almighty and the hadiths of his Prophet and his guardians.

We also find in addition to the fact that the scholars have invested the Qur'anic verses and texts related to this, we see them deduce the sayings of the blessed Sunnah, as well as the sayings of the Companions, and the rest of the

scholars to be evidence of what they mention and support their argument.

Key words: Morals, piety, honesty, patience, loyalty, forgiveness.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأفضلهم محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وبعد:

تحتل الأخلاق مكانة عالية في الإسلام ، يمكن إثباتها بالاندفاع لتبنيها والسعي لتطويرها ، وبأفضل صورة وعمل ، كما تحتل الأخلاق الحميدة جزءًا كبيرًا في القرآن الكريم والسنة المباركة, والفطرة السليمة تحثّ على الأخلاق الفاضلة، فإنّ الصدق، والوفاء بالعهود، والصبر، تستحقّ حمد مَنْ يقوم بها ، والثناء عليه، وذلك استنادًا إلى العقل والتفكير القويم، وأنَّ الكذب، والغدر، والجزع، تستحق ذم صاحبها.

وأبرز أهداف الدراسة هو التعرف على مراتب الأخلاق في الشريعة الاسلامية ولا سيما فيما يتعلق بمراتب التقوى والصدق والصبر والوفاء والعفو لإبراز التراث الأخلاقي في الاسلام ، والوصول إلى المصادر الإسلامية المرتبطة بذلك ، من خلال استقراء المراتب الاخلاقية التي تطرق اليها العلماء.

المطلب الأول: مراتب التقوى

التقوى من أهم المفهومات الأخلاقية والدينية في الإسلام, ومعناها: وقاية النفس من عصيان أوامر الله تعالى ونواهيه وما يمنع رضاه. والتقوى: هي أداء الواجبات والفرائض وكذلك اجتناب المحرمات ، ومَنْ يلتزم هذه الفرائض كان ممن يحبون الله عز وجل.

للتقوى ثلاث مراتب كما عدّها الإمام الصادق عليه السلام فقال:((التقوى على ثلاثة أوجه: تقوى بالله وترك الخلاف فضلًا عن الشبهة وهو تقوى خاص الخاص, وتقوى من الله تعالى وهو ترك الشبهات فضلًا عن الحرام وهو تقوى الخاص, وتقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام وهو تقوى العام..))[1], فتكون درجات التقوى حينئذٍ كما يأتي:

١. تقوى العوام: وهو ترك المحرمات خوفًا من العقاب, أي ترك النواهي.

٢. تقوى الخواص: وهو ترك الشبهات -أي التي قد تكون محرمة- فضلًا عن ترك المحرمات, وبذلك إسناد الكمال الى نفس المتقي.

٣. تقوى خواص الخواص: وهو ترك المباحات والشبهات, أو ترك إثبات حضور الآخر.

وقيل: إنَّ مراتب التقوى -التي وردت في القرآن المجيد- مرتبتان هما:

١. مرتبة التقوى: وهي مرتبة يمكن نيلها عندما يُطاع الله تعالى ولا يُعصى ويخضع له فيما أعطى أو منع بقدر استطاعة كل فرد[٢], وهذا هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾[٣]، أي إنّك تتقي الله عز وجل بما كان في استطاعتك من الوسع، فما باستطاعتك أنْ تقوم به فينبغي أنْ تقوم به[٤], وهذا ما ورد عن الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- أنه قال: ((ذروني ما تركتكم فإنما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم, فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه, وإذا أمرتكم بالشيء فأتوا منه ما استطعتم))[٥].

٢. مرتبة حق التقوى: وهي أنْ تجتنب مشاهدة وجود الخلق مع وجود الخالق[٦], وهي العبودية التي لا تشوبها هفوة، أو هي الطاعة دون المعصية والشكر دون الكفر، والذكر دون النسيان[٧], وهذه المعاني هي المستفادة من قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[٨], بمعنى عليكم تقواه حقًا، بأنْ تقوموا بالواجبات ، وتجتنبوا المنهيات[٩].

وقد لحظنا للشيخ الطبرسي(ت:٥٤٨هـ) في معنى قوله "حق تقاته" وجوه يمكن اجمالها في الآتي[١٠]:

أولًا: إنَّ معناه أنْ يطاع الله عز وجل فلا يُعصى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُذكر فلا يُنسى.

ثانيًا: إنه اتقاء كل معاصيه.

ثالثًا: إنه المجاهدة في الله عز وجل، وأنْ لا تأخذه فيه لومة لائم، وأنْ يُقام له بالعدل في الخوف والأمن.

إنَّ فضيلة التقوى عديدة المراتب, فلا يمكن أنْ يتساوى المتقون فيما بينهم, فالذي يتجنب المحرمات ويعمل الواجبات أقلُ مرتبَة من الذي يقوم الى جانب ذلك بفعل المستحبات ويترك المكروهات, وهكذا تتوزع مراتب التقوى لكي يحوز كل ذي حق حقه بعدالة.

المطلب الثاني: مراتب الصدق

الصدق هو قول الحقيقة، وهو فضيلة من الفضائل ويُعد من مكارم الأخلاق السامية؛ وهو نقيض الكذب؛ ويوصف الشخص الذي يتحدث بالحقيقة أنه صادق, والله عز وجل يأمر بالصدق ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[١١], فالصدق من مكارم الخُلق التي يتباهى بها المؤمنون, وله مراتب عديدة ومتنوعة، منها:

١. الصدق في اللسان: وهذا لا يكون إلا في الأخبار, أو فيما يحتوي الأخبار و ينبه عليه، و الخبر إما أنْ يتعلق بالماضي وإما بالمستقبل، و فيه يدخل الوفاء بالوعد, فلابد للعبد المؤمن أنْ يحفظ ألفاظه، فلا يتكلم إلا بالصدق، و هذا هو أشهر مراتب الصدق و أظهرها[١٢], فلا ينقل المسلم غير الأخبار الصادقة، وهذا يقتضي منه الابتعاد عن الظنون والإشاعات, وقد ورد عن الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- أنه قال: ((إياكم والظن فإنَّ الظن أكذب الكذب))[١٣], وروي عنه كذلك أنه قال:((كفى بالمرء كذبا أنْ يُحدث بكل ما سمع))[١٤].

٢. الصدق في النية والإرادة: و يرجع ذلك إلى الإخلاص, و هو أنْ لا يكون له دافع في الحركات و السكنات إلّا الله عز وجل, و هذا الصدق لا من حيث نطق اللّسان بل من حيث ضمير القلب, وإذا شاب النية شيء لم تكن صادقة[١٥], قال تعالى:﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ**

إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ, أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلونَ﴾(١٦), بمعنى إنهم كانُوا يَطْلُبُونَ الْكِبْرِيَاءَ وَالسِّيَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَيَأْنَفُونَ مِنْ أَنْ يَكُونُوا تَبَعًا لِغَيْرِهِمْ, فَهُمْ طالبون الدُّنْيَا, فَلِذَلِكَ حُذِّرُوا مِنْ أَنْ يَغْتَرُّوا بِالْمَتَاعِ السريع, وَأُعْلِمُوا بِأَنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ الْعَذَابَ المستمر, وَأَنَّهُمْ بلا شك عَلَى الْبَاطِلِ(١٧).

٣. الصدق في الوفاء بالعزم: أي الجزم على الخير, فإنَّ المرء قد يقدم العزم على عمل محدد، فيقول في ذاته: إنْ رزقني الله عز وجل تصدقت كذا، أو إنْ خلصني الله تعالى من تلك المشكلة فعلت كذا, وهكذا(١٨), قال تعالى: ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾(١٩), بمعنى حققوا صدقهم فيما عاهدوا الله عز وجل(٢٠).

٤. الصدق في الأعمال: بمعنى أنْ يجتهد المرء حتى لا تدل افعاله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف به, وعليه أنْ يوظف الباطن الى تصديق الظاهر كالواقف على هيئة الخشوع و قلبه غافل عن الصلاة, فمَنْ نظر اليه رآه قائمًا بين يدي الله تعالى, وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته, ولذلك قيل: كم طائف يطوف بالبيت وهو بخراسان, فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعرابًا هو فيه كاذب وليس بصادق(٢١), وقد ورد عن أمير المؤمنين علي قال:((فإذا أردت أنْ تعلم أصادق أنت أم كاذب؟ فانظر في قصد معناك، وغور دعواك ..فإذا اعتدل معناك بدعواك، ثبت لك الصدق، وأدنى حد الصدق أنْ لا يخالف اللسان القلب، ولا القلب اللسان..))(٢٢).

٥. الصدق في مقامات الدين: وهو أعلى الدرجات, مثل الصبر, والشكر, والخوف, والرجاء, والزهد, والتوكّل, والتعظيم, والرضا, والحبّ, والتسليم لتقديراته عز وجل, ومن علاماته كتمان الطاعات والمصائب جميعًا(٢٣).

هذه جزء من مراتب الصدق التي يفرضها الدين الإسلامي الحنيف على المسلمين بأنْ يكونوا مخلصين لله تعالى وللناس ولأنفسهم, والإخلاص هنا يكتمل بالصدق.

المطلب الثالث: مراتب الصبر

يتعلم الفرد الكثير من القيم والأخلاق الفاضلة التي ير غب بها طوال حياته ، وأهمها الصبر ، والذي هو من محاسن الأخلاق, لأنها سمة يصعب التحلي بها، فيحتاج كل منا إلى التجمل بالصبر ، لأنَّ حياة الجميع بالغة الصعوبة, قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٢٤), لذلك يحث الله تعالى عبيده على التحلي بالصبر وجعله اشارة على قوة الإيمان بالله عز وجل، فكلما قل الصبر قل الإيمان, وللصبر درجات كثيرة ومراتب يستحقها المرء نتيجة لضبط نفسه عمّا تهوى وتكره تلبية منه لرضى الله تعالى و من هذه المراتب:

فبحسب الشيخ محمد مهدي النراقي (ت:١٢٠٩هـ) ثلاث مراتب وكالآتي(٢٥):

١. مرتبة الصبر الحقيقي: ويكون عندما يصبر العبد على ما تكرهه نفسه بترك الشهوات, سواء أكانت المباحة منها أم المحرمّة أم المكروهة , وتحمّل جهد العبادة, بحيث لا يكون لديه صراع أو تعب أثناء تأديته لهذه الأمور, فعند ذلك يصل إلى مرتبة الصبر الحقيقي، وأمّا إنْ كان تحمّله مع تكلف وجهد فهنا صبره مجازي.

٢. مرتبة الرضا: هي أعلى من المرتبة السالفة, ويصلها الفرد عندما يصبح الصبر مَلَكة راسخة لديه، فورد عن النبي الكريم -صل الله عليه وآله- أنه قال:((فإنْ استطعت أنْ تعمل لله -عز وجل- بالرضا في اليقين فافعل، وإنْ لم تستطع فإنْ في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا..))[٢٦].

٣. مرتبة المحبة: وهذه أعلى من مرتبة الرضا يستحقها المرء عندما يداوم ويحافظ على مرتبة الرضا.

وإنَّ مرتبة المحبّة والرضا والتسليم لله تعالى من أرفع المراتب ، ولا يفوز بهذه المراتب الا الصدّيقون والمقرّبون ، والمرتبة الأعلى لا تحصل الا بعد حصول المرتبة التي تقدمتها[٢٧].

وورد عن الإمام علي عليه السلام أنَّ الرسول -صلى الله عليه وآله- قال:((الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة, وصبر على الطاعة, وصبر عن المعصية..))[٢٨], ويمكن بيان هذه المراتب على النحو الآتي:

١. الصبر عند المصيبة: وهو الصبر عندما تحلّ المصيبة, ولا يحقُ لأهل المصاب أنْ يرتكبوا في مراسم العزاء ما يخالف الشرع المقدس, وأنّ مَنْ أصابته مصيبة فليتذكّر مصائب آل البيت- عليهم السلام-؛ فهي أعظم المصائب[٢٩], وقد ورد أنَّ أبا عبد الله الصادق عليه السلام كان يقول عند المصيبة:((الحمد لله الذي لم يجعل مصيبتي في ديني, والحمد الله الذي لو شاء أنْ يجعل مصيبتي أعظم مما كانت, والحمد لله على الامر الذي شاء أنْ يكون فكان))[٣٠], وهذا التضرع يدل على صبر الإمام عليه السلام فهو يحمد الله عز وجل لصبره على تحمل النوائب.

٢. الصبر على الطاعة: وهو شديد، لأنَّ النفس بميلها تنفر من العبودية، و لذلك قيل: ما من نفس إلا وهي خافية ما اظهره فرعون، و لكن فرعون وجد مجالًا فأظهره ﴿فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[٣١], وما من أحدٍ إلا وهو يدعيّ ذلك مع خدمه و أتباعه، و إنْ كان ممتنعًا من اظهاره أمام الناس، ولذلك ترى غضبه عند تقصيرهم في خدمته، فإنَّ ذلك ليس إلا من التكبر[٣٢].

٣.الصبر عن المعصية: وهو الصبر عن الخطايا مثل: الغيبة, والكذب, والرياء, والعجب, فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام:((الصبر عن الشهوة عفَّة، وعن الغضب نجدة، وعن المعصية ورع))[٣٣], فالعفة خلق رفيع تأتي نتيجًة للصبر، و أمّا الورع فهو نوع من أنواع الصبر، وهو الصبر عن المعصية والقوّة والشدة, وهذه القوة في النفس نتيجة من نتائج الصبر[٣٤].

ومنهم مَنْ أضاف مرتبة على مراتب الصبر وهي: الصبر على ما تحبه الذات, أو الصبر عن الركون الى ما يوافق الهوى من الصحة و السلامة, و المال و الجاه و كثرة الأولاد, وكذا سائر ملذات الدنيا, و ما احوج الفرد الى الصبر عن هذه الامور، و تقييد نفسه عن الركون اليها، و الاهتمام القوي فيها، والمؤدي بدوره الى الطغيان[٣٥], فعن أمير المؤمنين عليه السلام:((الصبر صبران :صبر على ما تكره, وصبر عما تحب))[٣٦], ومن كلام العرب: الصبر على ما تحب أكثر شدة على النفس من الصبر على ما تكره[٣٧].

سبق أنْ ذُكر أنَّ للصبر عدة مستويات في كتب التربية والأخلاق ، وقد ذكرنا بعضها, فمجموعة من العلماء يُقسم الصبر على ثلاثة مستويات وهي الصبر الحقيقي ، والرضا ، ومستوى المحبة ، ومنهم مَنْ التزم بما جاء عن المعصومين(عليهم السلام) كما ذكرنا, حيثُ

قالوا: إنَّ مراتب الصبر هي:(مواجهة المصيبة بهدوء ، والصبر على الطاعة ، والصبر على المعصية), وفرقة منهم أضاف على هذه المراتب أو حصرها في مستويين.

المطلب الرابع: مراتب الوفاء

الوفاء صفة إنسانية وخُلقية جميلة ، فعندما يحقق المرء هذه الصفة بمشاعره وانفعالاته يكون قد وصل إلى إحدى المراحل التي تصل فيها النفس الإنسانية إلى فضائلها، والوفاء هو من الأخلاق الإسلامية الكريمة ، فيجب على المسلمين الالتزام بها في جميع شؤونهم ومعاملاتهم مع الله وكذا مع الناس, وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد فقال: ﴿**وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً**﴾[٣٨], والوفاء بالعهد من الأخلاق النبيلة التي تزرع الثقة بين الناس ، ويمكن للإنسان من خلالها تحقيق الكمال. وقد ذُكر أنَّ لها عدة مراتب منها:

١.أنْ يفي الإنسان لمَنْ يفي له: وهذا فرض لازم وحق ,لا يمكن أنْ يحول عنه إلا خبيث ليس له أخلاق, ولا خير عنده[٣٩], قال تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[٤٠], وهو استفهام إنكاري في مقام التعليل, لما ذكر من إحسانه عز وجل عليهم بالجنتين, وما فيهما من أقسام النعم والآلاء, فُيفيد أنه عز وجل يحسن إليهم هذا الاحسان جزاء لإحسانهم بالخشية من مقام ربهم, أو لأنَّهم قد أحسنوا من خلال تطبيق أوامره و اجتناب نواهيه, حيثُ ما أوتوه من الجنة ونعيمها نتيجة لأعمالهم[٤١].

فحسن الوفاء بالعهد والعقد لمن يفي لك، أو حسن مواجهة الإحسان بالإحسان، قضية خالدة، وحقيقة ثابتة أبدًا، وهذا القانون الأخلاقي لا يمكن أنْ يتغير على الاطلاق[٤٢], وروي عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال في معنى الآية:((جرت في الكافر والمؤمن و البر والفاجر ، ومن صنع إليه معروف فعليه أن يُكافئ به... فإنْ صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء))[٤٣], بعبارة أخرى ، فإنَّ المبادر إلى الإحسان له فضيلة أجلّ من راد الإحسان.

٢. الوفاء لمَنْ غدر: وهي مرتبة لا يطيقها إلا مؤمن صلب, واسع الصدر, حر النفس, عظيم الحلم, عظيم الصبر, ماجد الخلق, سالم النية, هذه الصفة حسنة جدًا وواجب استعمالها في أي وجه من وجوه معاملات البشر فيما بينهم على أية حال كانت, وروي عن الرسول الأمين -صل الله عليه وآله-:((وإنْ امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تُعيره بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه))[٤٤].

ولكن, إذا اعتِيدَ من العدوّ أنْ يغدِر ولا يفي بأقوالهِ وأيْمانه وعهوده ، فحينئذٍ لم يجزْ الوفاء له ، ووَجَب أنْ ينقض عهوده ولا يوقَف مع العهد المعقود بين الطرفين، فإنّ الوفاء في هذه الحالُة ليس بوفاء عند الله عز وجل، بل هو كالغَدْر في قُبْحه ، والغدر في هذه الحالة ليس بقبيح ، بل هو في الحسن كالوفاء لمن يَستحِقُّ الوفاء عند الله عز وجل[٤٥], وهذا هو معنى ما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام:((الْوَفَاءُ لأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ الله, والْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ الله))[٤٦].

والحاصل: أنّه لا يجوز الغدر من أحد بالنسبة إلى الآخر حتى إذا كان مع الكفار, إلا في موضع معين, ففي الجهاد مع الكفار فلا بأس حينئذٍ بالغدر والحيلة لأجل الغلبة على العدو والخصم ليس إلا[٤٧].

٣. الوفاء مع اليأس البات: بمعنى بعد حلول المنايا، فإنَّ الوفاء في هذه الحالة لأعظم وأحسنُ منه في الحياة ومع رجاء اللقاء, حتى قيل: أنَّ قليل الوفاء بعد الوفاة خيرٌ من كثيره في حال الحياة[٤٨], و لذلك روي أنّ الرسول الكريم -صلّى الله عليه وآله- قد أكرمَ عجوزًا دخلت عليه فقيل له: ما سبب ذلك فقال:((إنها كانت تأتينا زمن خديجة, وإنْ حسن العهد من الايمان))[٤٩].

هذه هي مراتب الوفاء، و هناك غير ها من المراتب النبيلة الأخرى، والمطلوب منا أنْ نرتقي بأنفسنا لأعلى مراتبه, وعدم الاكتفاء بالمستويات الدنيا منه.

المطلب الخامس: مراتب العفو

العَفْوُ من مكارم الأخلاق الســامية، وهو خُلُقٌ رفيع تحتاجه النفس البشــرية لتتخلّص من جميع الشوائب، وكذلك لينعم الأفراد بالخير والحب وانفتاح الصدر، وهو إنّما يتحقّق بطولِ صبر وكظمٍ للغيظ ، وقد أكد القرآن الكريم عليه في قوله تعالى:﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[٥٠], والعفو صـفة يحبها الله عز وجل؛ لأنها تسـاعد على زيادة المحبة والطمأنينة بين المؤمنين, ومنع الأذى والبغضاء بين الأفراد. وورد أنَّ للعفو ثلاث مراتب وهي كما يأتي:

أولًا: ترك المعاقبة: إنَّ هذه المرتبة هي المعنى الأســاس الذي يتبادر إلى الذهن ، كما يوحي المعنى الاصطلاحي للعفو فهو باختصار: ترك المؤاخذة بالذنب, والمؤاخذة؛ بمعنى المعاقبة وهو الوارد في قوله تعالى:﴿**رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِـينَا أَوْ أَخْطَأْنَا..**﴾[٥١]؛ وأنَّ المراد من العفو؛ ما يتعلق بذنوبهم من جهة الخطأ والنســيان باتباع أوامره تعالى ونحو ذلك. والآية هنا بمعنى لا تعاقبنا أو لا تؤاخذنا بالعقاب[٥٢].

كما يتضــح ذلك من ســياق الآيات المباركة والواردة في الحث على العفو، كقوله تعالى: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْـفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِـنِينَ**﴾[٥٣], وهذا أمر من الله عز ذكره لنبيه-صـل الله عليه وآله- أنْ يعفو لمن يريد أنْ يمد إليه من اليهود[٥٤], وورد عن الرسـول-صـل الله عليه وآله- أنَّه قال:((أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة))[٥٥], حيثُ أَنَّ العفوَ أَكرمُ حالاتِها[٥٦].

ثانيًا: الصـفح: وهو إزالة أثر الذنب من النفس أو الابتعاد عن المذنب[٥٧], أو هو:((عفوًا من غير عقوبة ولا تعنيف ولا عتب))[٥٨] كما ورد عن الإمام الصــادقعليه السلامفي معنى قوله عز وجل: ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾[٥٩].

والصــفح أبلغ من العفو وأرفع درجة منه, فالعفو ترك عقوبة المذنب، والصــفح ترك التثريب والتأنيب، وهو أبلغ من العفو إذ قد يعفو الإنسان ولكنه لا يصفح[٦٠].

ثالثًا: الإحســان: وهذه المرتبة أعلى مراتب العفو ولقد جاء ذكر هذه المرتبة في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّــرَّاءِ وَالضَّــرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِـنِينَ**﴾[٦١], والاحسـان هو ((الاتيان بالفعل على وجه حَسَـن بالقتال في مورد القتال، والكف في مورد الكف، والشدة في مورد الشدة، والعفو في مورد العفو))[٦٢].

قد ورد أنَّه جنى غلام للإمام الحسينعليه السلام جناية توجب العقاب عليه، فأمر به أنْ يُضـرب، فقال: يا مولاي والكاظمين الغيظ, قال: (خلوا عنه). فقال: يا مولاي والعافين عن الناس, قال: (قد عفوتُ عنك), فقال: يا مولاي والله يُحب المحسنين, قال: (أنت حرٌ لوجه الله، ولك ضعف ما كنتُ أعطيك)[٦٣].

نلحظ أنَّ الإمام(عليه السلام) قد طبق قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[٦٤], بمعنى ادفع بالصفة -التي هي أحسن- الصفة السيئة التي تخالفها فادفع بحلمك جهلهم وبعفوك إساءتهم[٦٥].

يُظهر الحدث أعلاه ثلاثة مستويات للعفو ، من الأدنى إلى الأعلى ، ثم أنَّ الأدنى: ترك العقوبة عندما أمرَ الإمام(عليه السلام) بعدم معاقبته للغلام، ثم المرتبة الوسطى، وهي مرتبة :الصفح, بعد ذلك تأتي أعلى المراتب وأرفعها وهي الاحسان إلى المسيء.

الهوامش

١- المجلسي, بحار الأنوار, ٢٩٥\٦٧.
٢-(ظ: الطباطبائي, الميزان في تفسير القرآن, ٤٢٠\٣.
٣- سورة التغابن, الآية: ١٦.
٤-(ظ: تفسير متولي شعراوي(الخواطر), ١٦٥٨\٣.
٥- صحيح مسلم, ١٠٢\٤. صحيح ابن حبان, ٢٠١,٢٠٠\١. محمد الري شهري, ميزان الحكمة, ١٢١٧\٢.
٦- ظ: حيدر الآملي, تفسير المحيط الأعظم, ٢٨٤,٢٨٣\١.
٧- ظ: الطباطبائي, الميزان في تفسير القرآن, ٤٢٠\٣.
٨- سورة آل عمران, الآية: ١٠٢.
٩-(ظ: أحمد مصطفى المراغي, تفسير المراغي, ١٦\٤.
١٠- ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن, ٣٥٦,٣٥٥\٢.
١١-(سورة التوبة, الآية:١١٩.
١٢- ظ: الغزالي, إحياء علوم الدين, ١٩٨\١٤.
١٣- الحر العاملي, وسائل الشيعة, ٥٩\٢٧.
١٤- المجلسي, بحار الأنوار, ١٥٩\٢.
١٥- ظ: الفيض الكاشاني, المحجة البيضاء, ١٤٣\٨.
١٦- سورة هود, الآية: ١٦,١٥.
١٧- ظ: ابن عاشور, التحرير والتنوير, ٢٢\١٢.
١٨- ظ: محمد مهدي النراقي, جامع السعادات, ٣٤٧\٢.
١٩- سورة الاحزاب, الآية: ٢٣.
٢٠-(ظ: الطباطبائي, الميزان في تفسير القرآن, ٢٩٠\١٦.
٢١- ظ: عبد الله الجزائري, التحفة السنية في شرح النخبة المحسنية, ص٢٠٩.
٢٢- المجلسي, بحار الأنوار, ١١\٦٨.
٢٣- ظ: محمد حسن القزويني, كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء, ص٣٤٠.
٢٤- سورة النساء, الآية:٢٥.
٢٥- ظ: جامع السعادات, ٢٨٤\٣.
٢٦- الصدوق, الامالي, ص٥٣٦.

٢٧- ظ: محمد حسن القزويني, كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء, ص٣٥٤.
٢٨- الكليني, الكافي, ٢\٩١.
٢٩- ظ: ناصر مكارم الشيرازي, المفاتيح الجديدة, ص٨٢٢.
٣٠- الكليني, الكافي, ٣\٢٦٢.
٣١- سورة النازعات, الآية:٢٤.
٣٢- ظ: عبد الله المامقاني, مرآة الرشاد, ص٤٧.
٣٣- المحدّث النوري, مستدرك الوسائل, ١١\٢٦٣.
٣٤- ظ: عيسى أحمد قاسم, محراب التقوى والبصيرة, ٥\١٣٠.
٣٥- ظ: الفيض الكاشاني, المحجة البيضاء, ٧\١٢١.
٣٦- الشريف الرضي, نهج البلاغة, ص٤٧٨.
٣٧- ظ: الشيخ البهائي, الكشكول,٣\١٢.
٣٨- سورة الإسراء, الآية: ٣٤.
٣٩- ظ: ابن حزم, طوق الحمامة, ص١٠٥,١٠٦,١٠٧.
٤٠-(سورة الرحمن, الآية: ٦٠.
٤١- ظ: الطباطبائي, الميزان في تفسير القرآن, ١٩\١١٠.
٤٢- ظ: جعفر السبحاني, العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت "عليهم السلام", ص٣٢.
٤٣- المجلسي, بحار الأنوار, ٨\١٠٥.
٤٤- محمد الري شهري, ميزان الحكمة, ٣\٢٢١٣. سنن أبي داود, ٢\٢٦٦.
٤٥- ظ: عبد الهادي الشريفي, تهذيب شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد المعتزلي, ٢\٥٤٦.
٤٦- الشريف الرضي, نهج البلاغة, ص٥١٣.
٤٧- ظ: محمد مهدي المازندراني, شجرة طوبى, ٢\٢٩٤.
٤٨- ظ: الفيض الكاشاني, المحجة البيضاء, ٣\٣٤٢.
٤٩- الحاكم النيسابوري, المستدرك على الصحيحين, ١\١٦. العلامة المجلسي, بحار الأنوار, ١٦\٨.
٥٠- سورة الأعراف, الآية: ١٩٩.
٥١- سورة البقرة, الآية: ٢٨٦.
٥٢- ظ: السيوطي, تفسير الجلالين, ص٦٤. الخازن, لباب التأويل في معاني التنزيل, ١\٢٢٠.
٥٣- سورة المائدة, الآية:١٣.
٥٤- ظ: الطبري, جامع البيان عن تأويل آي القرآن, ٦\٢١٤.
٥٥- الصدوق, معاني الأخبار, ١\١٩٦.
٥٦- ظ: ابن معصوم المدني, الطراز الأول, ٢\٣٣١.
٥٧- ظ: وهبة الزحيلي, التفسير المنير, ١\٢٦٩.
٥٨- المجلسي, بحار الأنوار, ٧٥\٣٥٧.
٥٩- سورة الحجر, الآية:٨٥.
٦٠- ظ: الآلوسي, روح المعاني, ١\٣٥٦.
٦١- سورة آل عمران, الآية: ١٣٤.

٦٢- الطباطبائي, الميزان في تفسير القرآن, ٦٤\٢.
٦٣- بَهَاء الدِّين الإرْبِلي, كشـــفُ الغُمَّة في مَعرِفَةِ الأئمّة, ٢٤١\٢. المجلســـي, بحار الأنوار, ١٩٥\٤٤.
٦٤-(سورة فصلت, الآية: ٣٤.
٦٥- ظ: الطباطبائي, الميزان في تفسير القرآن, ٣٩٢\١٧.

المصادر والمراجع

أفضل ما نبتدئ به: القرآن الكريم.

- ابن حبان, علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت:٣٥٤هـــ), صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان, تحقيق, شــعيب الارنؤوط, مؤســســة الرســالة, بيروت, ط٢, ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م
- ابن حزم الاندلســي, أبو محمد علي بن أحمد بن ســعيد , طوق الحمامة في الألفة والألاف, تحقيق, د. إحسـان عباس, المؤسـسـة العربية للدراسـات والنشـر – بيروت, ط٢, ١٩٨٧م.
- ابن عاشور, محمد الطاهر(ت:١٣٩٣هـــ), التحرير والتنوير, الدار التونسية للنشر, ١٩٨٤م.
- ابن معصوم, علي بن أحمد الحسيني المدني(١١٢٠هـ), الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول, مؤســســة آل البيت (عليهم الســلام) لإحياء التراث , قم, ط١, ١٤٢٦ هـ.
- أبو داود السجستاني، سليمان، السنن، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار إحياء السنة النبوية.
- الإربلي, أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت:٦٩٣هـ), كشف الغمة في معرفة الأئمة, دار الأضواء بيروت, ١٤٠٥هـ.
- البهائي, بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي(ت:١٠٣٠هـــ), الكشكول, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات,ط٦, ١٩٨٣م.
- الآلوسي, شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(ت:١٢٧٠هـــ), روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني, تحقيق, علي عبد الباري عطية, دار الكتب العلمية – بيروت, ط١, ١٤١٥هـ.
- الأملي, السيد حيدر، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تحقيق, محسن الموسوي التبريزي، العهد الثقافي ط٢, د.ت.
- الجزائري, الســيد عبد الله بن الســيّد نور الدين بن الســيّد نعمة الله الموســوي (ت:١١٧٣هـــ), التحفة السنية في شرح النخبة المحسنية, جمعية المعارف الإسلامية الثقافية, ط١, د.ت.

- الحاكم النيسابوري, أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت:٤٠٥هـ), المستدرك على الصحيحين, إشراف, د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي, دار المعرفة بيروت – لبنان, مصورًا عن الطبعة الهندية ١٣٣٥هـ.
- الحائري المازندراني, الشيخ محمد مهدي(ت:١٣٦٩هـ), شجرة طوبى, منشورات المكتبة الحيدرية, النجف,ط٥, ١٣٨٥هـ.
- الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي ، تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، طهران، إسلامية، ١٣٩٢ ش.
- الخازن, أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي (ت: ٧٤١هـ) , لباب التأويل في معاني التنزيل, تصحيح, محمد علي شاهين, دار الكتب العلمية – بيروت, ط١, ١٤١٥هـ.
- الري شهري ,محمّد بن إسماعيل المحمّدي, ميزان الحكمة, دار الحديث, ط١, ١٤١٦هـ.
- الزحيلي, وهبة بن مصطفى الزحيلي(ت:١٤٣٦هـ), التفسير المنير, دار الفكر – دمشق, ط١, ١٤٢٢هـ.
- السبحاني, الشيخ جعفر ، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت "عليهم السلام" ، ترجمة, علي الهادي, قم, مؤسسة الإمام الصادق، ١٤٣١م.
- الشريف الرضي, محمد بن الحسين بن موسى, نهج البلاغة, تحقيق, صبحي الصالح , دار الكتاب اللبناني, د.ت.
- الشريفي, السيد عبد الهادي, تهذيب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي, الناشر: دار الحديث, قم, ١٤٢٦هـ.
- الشيرازي, الشيخ ناصر مكارم, المفاتيح الجديدة, مدرسة الامام على بن ابي طالب(ع), قم, ١٤٣١هـ.
- الصدوق, أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي(ت:٣٨١هـ) , معاني الاخبار, تحقيق, علي أكبر الغفاري, دار المعرفة, بيروت, لبنان, ١٣٧٩هـ.
- الصدوق, نفسه, الأمالي, تحقيق, قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة – قم, ط١, ١٤١٧هـ.
- الطباطبائي, السيد محمد حسين(ت:١٤٠٢هـ), الميزان في تفسير القرآن, مكتب التبليغ الإسلامي التابع لجماعة المدرسين, قم, د.ت.
- الطبرسي, الفضل بن الحسن(ت: ٥٤٨هـ), مجمع البيان في تفسير القرآن, تحقيق وتعليق, لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت – لبنان, ط١, ١٤١٥ – ١٩٩٥م.

- الطبري, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب(ت:٣١٠هـــــ), جامع البيان عن تأويل آي القرآن, تحقيق, الشـيخ خليل الميس, ضـبط وتوثيق وتخريج, صـدقي جميل العطار, دار الفكر, ١٤١٥ - ١٩٩٥م.
- الغزالي, أبو حامد محمد بن حمد(ت:٥٠٥هـ), إحياء علوم الدين, دار المعرفة, بيروت, د.ت.
- الفيض الكاشـاني, الملا محسـن, المحجة البيضـاء في تهذيب الإحياء, مؤسـسـة النشـر الاسلامي لجماعة المدرسين، قم, ١٤١٧ق.
- قاسم, الشيخ عيسى احمد, محراب التقوى و البصيرة, دار الفقيه المقاوم، ١٤٣٧ هـ.
- القزويني, المولى محمد حسـن بن معصـوم (ت:١٢٤٠هـــ), كشـف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء في علم الاخلاق, تحقيق, الشيخ محسن الاحمدي, مؤتمر المولى مهدي النراقي, ط١, د.ت.
- الكليني, أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٩ هـ), الكافي, تحقيق وتصحيح: علي أكبر غفاري غفاري, دار الكتب الإسلامية , طهران, ط٤, ١٤٠٧هـ.
- المامقاني, عبد الله(ت:١٣٥١هـ), مرآة الرشاد في الوصية الى الأحبة والذرية والأولاد, دار الزهراء, بيروت, ١٤١٢هـ.
- متولي شـعراوي, محمد متولي الشـعراوي (ت: ١٤١٨هـــ), تفسـير الشـعراوي (الخواطر), الناشر, مطابع أخبار اليوم, ١٩٩٧م.
- المجلسي, محمد باقر(ت:١١١٠هـ), بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار, دار احياء التراث العربي, ط٣, بيروت , لبنان, ١٤٠٣هـ.
- المحدث النووي, الميرزا حسين الطبرسي (ت:١٣٢٠هـــ), مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل, تحقيق, مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث,ط١, ١٤٠٨هـــ - ١٩٨٧م.
- المحلي, السيوطي, جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـــ), تفسير الجلالين, تحقيق, مروان سوار, دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت , د.ت.
- المراغي, أحمد مصطفى(ت:١٣٧١هـــ), تفسير المراغي, دار احياء التراث العربي, بيروت, ط٢, ١٩٨٥م.
- المولى النراقي, محمد مهدي(ت:١٢٠٩هـ), جامع السعادات, مؤسسة الأعلمي, بيروت, ط٢.
- النيسابوري, أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري,(ت:٢٦١هـــ), الجامع الصحيح, دار الفكر, بيروت-لبنان.